مجلة جامعة الانبار للعلوم القانونية والسياسية

اسم المقال: اشكاليات في اصلاح الخطاب الاسلامي المعاصر
اسم الكاتب: أ.د. امل هندي الخزعلي
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/709
تاريخ الاسترداد: 2025/05/14 15:32 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة الانبار للعلوم القانونية والسياسية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

اشكاليات في اصلاح الخطاب الاسلامي المعاصر

Problems in reforming contemporary Islamic discourse

ا.د. امل هندي الخزعلي

Professor: Amal Hindi Khazali

جامعة بغداد – كلية العلوم السياسية

University of Baghdad - College of Political Science

Amelhendy88@yahoo.com

الملخص:

نلمس في الآونة الاخيرة تنامياً لمسألة الاهتمام بالخطاب الاسلامي لاسيما على مستوى تقوميه وتقييمه، ويعود ذلك الاهتمام الى عدة اسباب منها الوعي لأهمية الخطاب الديني لدى الشعوب الاسلامية التي يعد الدين احد مكونات هويتها الراسخة ، ومنها نمو نزعة النقد الذاتي للواقع السياسي والاجتماعي ومنها تطور وسائل الاعلام والتواصل التي جعلت المعنيين بهذا الخطاب يتمكنون من اشاعته على نطاق واسع ، ويبقى السبب الاهم انحسار الخطاب الاسلامي في بعض صوره غير السلفية والذي تميز بالتسامح مع نفسه ومع الاخر لصالح خطاب متطرف يشجع الفكر الارهابي او يشرعنه وينتج حركات متطرفة تستنج قتل السلم قبل غيره.

وعليه سيكون موضوع بحثنا عن سمات وخصائص هذا الخطاب المتطرف وسبب انتشاره مع الاشارة الى الدعوات التجديدية التي تسعى الى تحليل هذا الخطاب ومخاطرة وتسعى بدلا عن ذلك الى اشاعة خطاب ايجابي متسامح برأي التوازن في نواحي الحياة المختلفة دون افراط او تفريط

Abstract:

The importance of the religious discourse among the Islamic peoples, of which religion is one of the components of its well-established identity, including the growth of self-criticism of political and social reality, including the development of media and communication, Which has made the people involved in this discourse able to spread it on a

large scale, and remains the most important reason for the decline of the Islamic discourse in some of the non-Salafist image, characterized by tolerance with himself and the other in favor of an extremist speech that promotes terrorist ideology or legislates and produces extremist

Therefore, the subject of our research will be on the characteristics and characteristics of this extremist discourse and the reason for its spread, with reference to the innovative calls that seek to analyze this discourse and risk and instead seek to generate a positive and tolerant discourse on balancing the various aspects of life without exaggeration or

المقدمة:

ان دعوات الاصلاح والتجديد للخطاب الاسلامي مازالت تتزايد على الساحة الفكرية الاسلامية ، وذلك ادراكاً من المهتمين بهذا الشأن لأهمية الخطاب ودوره الفاعل في صناعة الوعي وادامة التواصل في المجتمع ، فمن خلال تحليل نصوصه يمكن فهم سياسات النخبة وثقافة ا المجتمع ، فهو يصف بمفاهيمه اللغوية ، واقعاً وسياقاً معيناً ، ويتأسس فيه بالضرورة ، معنى او معان عدة يُراد ايصالها الى المتلقي ، فضلاً عن كونه العامل الاهم في تشكيل البنية الذهنية ، واحد المؤثرات الاساسية على النفس البشرية ، وطالما كان الوسيلة الامثل لتوجيه الافراد وتغيير المجتمعات.

والخطاب الديني ، الذي نعني به في هذا البحث ، الخطاب الاسلامي بالذات ، بعده مكوناً اساسياً للثقافة المجتمعية لأنه يعتمد بشكل اساسي على المصادر الاسلامية والتي تمثل اركان تلك الثقافة ، وهو الوسيلة التي يخاطب بها المسلمون العالم ، والمنهاج الذي يصوغون من خلاله افكارهم وآراؤهم ومواقفهم التي يريدون ايصالها الى القطاع الاوسع من الرأي العام وذلك عبر وسائط الاعلام والتواصل المختلفة من مقروءة ومرئية ومسموعة.

وقد اريد لهذا الخطاب ان يكون المعبر الحقيقي عن رؤية الاسلام بحكم ربانية مصدره ، وعالمية توجهه ، وانسانية منطلقاته ، وان يتصف بالتوازن من خلال الجمع بين المثالية والواقعية ، والاصالة والمعاصرة ، والانفتاح والتعدد ، والاعتدال والتوسط.

غير ان الواقع قد اكد عجز الخطاب الاسلامي المعاصر عن تحقيق ذلك ، فلم يستطع تحصين المجتمعات الاسلامية من التطرف وجرائم العنف ، ولم ينجح في تفعيل القواسم المشتركة بين الاديان والمذاهب المتعددة ، ولم يقدم صورة حضارية للإسلام وقيمه السامية ، بل على العكس من ذلك رسخ تصورات وآراء سلبية عن الاسلام والمسلمين بسبب نهجه المنغلق والمتطرف.

وتتأتى اهمية هذا البحث من اهمية الخطاب الاسلامي نفسه بعده الوسيلة الناجعة في ربط نصوص ومبادئ العقيدة الدينية بواقع الحياة المعاصرة وبأسلوب وتعبير متجدد ودوره في تحصين المجتمعات من التطرف وجرائم فكر العنف وتفعيل القواسم المشتركة بين الاديان والمذاهب وتقديمه صورة ايجابية عن الاسلام والمسلمين .

لقد ساهمت الاحداث الكبيرة التي شهدها العالم الاسلامي في تزايد الاهتمام وتسليط الضوء على طبيعة الخطاب الاسلامي وخصائصه ، وذلك من خلال عقد المؤتمرات والندوات ونشر الابحاث بهدف النهوض والارتقاء بذلك الخطاب ليواكب متطلبات الحياة الحديثة ويتماشى مع روح العصر ، ويتجاوز السلبيات التي حالت دون تقديمه بالصورة المطلوبة وعجزه عن تجسيد القيم الاسلامية الحقيقية.

ولعل من اهم الاحداث التي شهدها العالم بروز التنظيمات الارهابية والحركات المتطرفة ، وما قامت به من افعال عنيفة ودموية باسم الاسلام ، حيث استدعى ذلك تصاعد الدعوات بضرورة مراجعة الخطاب الاسلامي والبحث عن الاسباب الحقيقية للقيام بهذا الكم من القتل وارهاب وترويع الآمنين ، وانصبت تلك الدعوات على التأكيد على اهمية اصلاح الخطاب الاسلامي وتحريره من النصوص والروايات والتفاسير الفقهية التي تبرر العنف وتشرعه ، ومواجهة دعوات التكفير والاقصاء والطائفية ، وترسيخ قيم الاعتدال والوسطية.

ولقد نجحت تلك الجهود متضافرة مع دعوات سياسية في دول عدة ، في ترشيد وانحسار الخطاب المتطرف - شكلياً – على الاقل ،ومع ذلك فان الخطاب المعاصر مازال يعاني اشكاليات حقيقية على الصعيد المجالات البنوية والمعرفية والبنى والمرتكزات الفكرية ، الامر الذي يستدعي استمرار الجهود الرامية الى اصلاحه وتجديده.

وعليه تدور اشكالية البحث حول سؤال محوري مفاده : هل ان انحسار الخطاب المتطرف والمتشدد في الآونة الاخيرة يعني عدم حاجة الخطاب الاسلامي الى اصلاح جوانب سلبية اخرى مازال يعاني منها ؟

وتتفرع عن هذه الاشكالية اسأله عديدة منها:

- **ماهو مفهوم الخطاب وماهي مرجعيته الفكرية.**
- **ما الذي يقصد بالخطاب الديني**
- **ماهي اهم المحطات الرئيسية في تطور الخطاب الاسلامي**
- **ماهي السمات والخصائص التي امتاز بها خطاب كل محطة من تلك المحطات**
- **ماهي الاشكاليات الرئيسية التي يعاني منها الخطاب الاسلامي المعاصر**

ويقوم البحث على فرضية مفادها : " رغم انحسار وانزواء الخطاب الديني المتشدد ، فان هذا الخطاب مازال يعاني العديد من الاشكاليات المعرفية والبنوية والتي تحتم اصلاحه وتجديده " .

ولأثبات فرضية البحث سيقسم الى مبحثين اساسيين يعالج الاول مفهوم الخطاب

ومرجعيته ومساراته في الحقب المختلفة ، بينما يعالج المبحث الثاني اهم الاشكاليات التي يعاني منها الخطاب الاسلامي المعاصر.

المبحث الاول
في مفهوم الخطاب الديني وحتمية الاصلاح

تحضى مهمة الاصلاح وتجديد الخطاب الاسلامي بأهمية بالغة في الآونة الاخيرة نظراً لطبيعة الدور الذي يلعبه هذا الخطاب في انفتاح الذهنية البشرية على الاسلام من خلال انسجامه مع مستوى العقلية العامة في طريقها لتكوين التصورات والانطباعات المتنوعة وادراك القضايا العامة وتحريك المشاعر والانفعالات ، وتقديم المضمون الحيوي الذي يلتقي مع الحاجات الانسانية.

ويعود هذا الاهتمام بالخطاب ايضاً نتيجة الوعي باهميته لدى الشعوب الاسلامية التي يُعد الدين احد مكونات هويتها الثقافية ، فضلاً عن نمو نزعة النقد الذاتي للواقع السياسي والاجتماعي وتطور وسائل الاعلام والتواصل التي ساهمت في اشاعة هذا الخطاب على نطاق واسع ، واشرت نقاط الضعف والقصور فيه، الامر الذي طرح مسألة ضرورة اصلاح الخطاب الاسلامي لكي يكون فاعلاً ومؤثراً في حركة المجتمع ومحفزاً على المواكبة والاستمرار في كافة مجالات ونواحي الحياة.

المطلب الاول
الخطاب : المرجعية والانتماء:

الخطاب مفهوم واصطلاح فلسفي ذو طبيعة تركيبية تتعدى الدلالة اللغوية الى المدارك الفلسفية والابعاد السياسية والمرامي الاعلامية ، ويعكس منهاج الخطيب في التفكير و التعبير عن افكاره وتصوراته.

والخطاب Discourse لفظ مشتق من الاصل اللاتيني Discoursus وتعني الحوار ، وقد عالجه الفكر الغربي بداية في المجال اللساني فعرفه. هاريس عام ١٩٥٢ بانه " ملفوظ طويل او هو متتالية من الجمل تكون منغلقة يمكن من خلالها معاينة سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محظ"(١) وعرفه (اميل بنسفت) بانه " كل لفظ يفترض متكلماً ومستمعاً يحاول المتكلم التأثير على المستمع بطريقة ما"(٢) او هو لفظ فيه متكلم ومستمع ويهدف الى تأثير المتكلم على المستمع بطريقة او باخرى.

وعرف قاموس اكسفورد الخطاب بانه " عملية اتصال تحدث بواسطة الكلام وهو معالجة مكتوبة او منطوقة لبحث اي موضوع او اطروحة ما (٣) .على ذلك يشكل الخطاب حالة من حالات التواصل المألوف بين البشر ولايكون مكتوباً فقط بل قد يكون منطوقاً ايضاً فالخطاب هو النصوص والاقوال كما تعطي مجموع كلماتها ونظام بنائها وبنيتها المنطقية او تنظيمها البنائي.

ولم يخرج الخطاب عن مجاله اللساني إلا على يد (ميشيل فوكو) الذي ربطه بالسلطة فعده شيء من الاشياء وهو ككل الاشياء موضوع صراع من اجل الحصول على السلطة ، وهو المسرح الذي يتم فيه استثمار الرغبة " فهو مدار الرغبة بالسلطة"(٤)

وبذلك اصبح الخطاب في الفكر الغربي نسق من العلاقات الدالة التي تخص افراد المجتمع او المجموعات داخلة ، فينظم الخطاب القواعد

الدلالية الشفوية او الكتابية ويتألف من ثلاثة عناصر: (٥)

١- المؤلف : وهو الذي يعد صياغة الخطاب بشكل منظم مترابط ولديه القدرة على التكلم والابداع.

٢- المتلقي : وهو الشخص او الفئة التي يوجه اليها الخطاب ولديه حاسة التوقع والانتظار اثناء توجيه الخطاب اليه.

٣- الرسالة :وهي المادة التي تصاغ بصورة ادبية لتقديمها في الخطاب.

٤- وسيلة الاتصال: وهي وسيلة الوصل بين المرسل والمستقبل او بين المؤلف والمتلقي من خلال عدة وسائل تتمثل بالإعلام المقروء او المسموع او المكتوب او من خلال شبكات التواصل الاجتماعي والاجهزة الذكية.

وكما انتقلت الينا عدد من المصطلحات الغربية كالبنوية والتفكيكية او التشريحية، انتقل الى الساحة العربية مصطلح الخطاب وتصدى له عدد من المفكرين والباحثين بالتوضيح والتعريف مؤكدين على ان التراث العربي قد تحسس اهمية الخطاب . والدور التدولي الذي يعد اهم شروطه وان مضمون المفهوم وجد قبل تداول المصطلح.

وعرف الخطاب في بعض المعاجم العربية كلسان العرب بانه " مراجعة الكلام" بين طرفين او اكثر بحيث يتم تبادل رسائل لغوية ، ويعني الكلام الذي يقصد به الافهام ، افهام من هو اهل للفهم والكلام الذي لايقصد به افهام المستمع لايسمى خطاباً .(٦)

اما في المجال الاسلامي فقد رفض البعض انتساب الخطاب الى المجال التداولي الغربي ، مؤكدين بان مفهوم الخطاب اسلامي اصيل باعتباره اداة للبيان والتواصل بين الانسان والانسان ، وقد تجلى في اسمى مراتبه في التواصل بين عالمي الغيب والشهادة وذلك في القرآن الكريم الذي هو خطاب الهي للإنسانية في كل زمان ومكان ، واذا كانت الاضافات التي جاءت بها الدراسات اللسانية والسيمولوجية المعاصرة قد اكدت النظر الى الخطاب كسلطة ، لان العلاقة بين طرفي المخاطب والمتلقي عبر الخطاب تتضمن في الغالب اعتبار الاول مرجعية في موضوع الخطاب او ممثلاً لها ، بينما تعتبر الطرف المتلقي في موضع المأمور او المكلف بالاستجابة والانقياد لما يتلقاه ، فان هذا المفهوم ينطبق على خطاب القرآن الكريم للإنسان عبر الوحي ولهذا عرف الفقهاء الحكم الشرعي بكونه الخطاب المتعلق بأفعال المكلفين امراً او اقتضاءاً او تخييراً. (٧)

ومن ثم فان الخطاب الاسلامي ليس جديداً في اصطلاحيته الحديثة وان مضمونه كان حاضراً في كل الحركات الاصلاحية والاحيائية والتجديدية التي عرفها الفكر الاسلامي لان هذا الفكر لم ينقطع خطابه للامة على مر العصور ولان تجديد الخطاب ظل من مقومات وجوده واستمراره .

المطلب الثاني : مفهوم الخطاب الاسلامي

ان الاتفاق على حضور المضمون لايعني الاتفاق على التعريف حيث لا نجد تعريفاً مانعاً جامعاً للخطاب في الفكر الاسلامي فيعرفه البعض بانه " عبارة عن رؤى وفكر واجتهادات المسلمين داخل الزمان والمكان ، فهو متعدد ومتنوع وهو مجموع

المقولات والتصورات والرؤى التي يطرحها علماء الدين والدعاة والمفكرون ازاء قضايا المجتمع استناداً الى الدين الاسلامي بشكل او غي ر مباشر". (٨)

او هو " البيان الذي يوجه باسم الاسلام الى الناس ، مسلمين او غير مسلمين لدعوتهم الى الاسلام او تعليمه لهم او تربيتهم عليه عقيدة وشريعة ، عبادة ومعاملة ، فكراً وسلوكاً ، لشرح موقف الاسلام من قضايا الحياة والانسان والعالم فردياً او اجتماعياً ، روحياً او مادياً ، نظرياً او علمياً ".(٩)

واذا كانت اغلب التعاريف الاسلامية تجعل الخطاب الديني انتاجاً فكرياً بشرياً يعتمد على المصادر المقدسة ، فان تعاريف اخرى تعده " كلام الله للناس اجمعين متمثلاً في الدعوة التي حملها القران الكريم للناس اجمعين لكون هذه الدعوة منهج حياة لكل من آمن بها "(١٠)

وبما ان وظيفة هذا الخطاب هي تبليغ الدعوة من الله تعالى الى الناس حتى تكون منهج حياة لهم وحتى يؤدي هذا الخطاب وظيفة فلا بد ان تؤثر فيه مجموعة من السمات التي تمكنه من ذلك وتجعله اكثر اقناعاً وافهاماً ، ومن تلك السمات العقلانية والواقعية وربانية المنشأ.

ان تعدد تلك التعاريف واختلافها قد يكون سببه الخلط بين عنصري هذا الخطاب ، فالخطاب الاسلامي متكون من عنصرين متمايزين هما: (١١)

❖العنصر او المكون الشرعي : ونعني به البيان الشرعي الذي جاء به الوحي الالهي قرآناً او سُنة ثابتة .

❖ العنصر او المكون البشري : ويتعلق بما فهمه واستنبطه البشر من البيان الشرعي فقهاً كان او قانوناً او فكراً او ادباً او علماً .

وعليه لايعني الخطاب الاسلامي النص ولكنه يستند اليه ويستمد منه رؤاه الفكرية.

وازاء هذا الخلط وامكانية اضفاء القداسة على الخطاب الاسلامي ، يفرق احد المختصين بين نوعين من الخطاب اولهما : الخطاب الديني او التأويلي او الاجتهادي ويقصد به كل النصوص التي اضيفت للسردية المقدسة الاصلية اي القرآن الكريم ، وهو التراث الديني المتراكم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه واله واصحابه وسلم حتى الآن ، وهذا التراث في حقيقة الامر انساني تم تحويله الى اسطورة او مقدس ، وثانيهما : الخطاب الآلهي وهو النص المؤسس للدين الاسلامي – القرآن الكريم- وهو الخطاب المرجعي الذي هو وحده يُعد خطاباً على الحقيقة ، اما الخطاب الاول فهو يُعد خطاباً اسلامياً على سبيل الجواز او التجوز.(١٢)

تأسيساً على ماتقدم سيكون الخطاب بمفهومه الاجتهادي البشري هو محل اهتمامنا والذي يمكن تعريفه بأنه " الخطاب الاسلامي الذي يعتمد على مرجعية دينية اسلامية في مخاطباته واحكامه وبياناته ، ويعني مايطرحه العلماء والدعاة والمنتمون الى المؤسسات الاسلامية في بيان الاسلام والشريعة سواء كان ذلك من خلال الخطب او المحاضرات او الكتب او غير ذلك ، كما يعني الافعال والنصوص المكتوبة التي تصدر عن المؤسسات الدينية او رجال الدين" .(١٣)

او هو الخطاب الذي يستند الى مرجعية اسلامية من اصول دين الاسلام سواء كان منتج الخطاب منظمة اسلامية او مؤسسة دعوية رسمية او غير رسمية او افراداً متفرقين جمعهم الاستناد الى الدين واصوله كمرجعية لرؤاهم وطروحاتهم

لإدارة الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والمؤسساتية التي يديرونها او التعاطي مع دوائر الهويات القطرية او الاممية او الوظيفية التي يرتبطون بها ويتعاطون معها. (١٤)

على ذلك يتخذ الخطاب الاسلامي صوراً متعددة بين مقروء ومسموع ومرئي ويتمثل في خطب الجمعة والوعظ والارشاد والصحف والمجلات والكتب العلمية ، فضلاً عن الاشرطة الدينية والقنوات المسموعة والمرئية والشبكات الدولية للمعلومات والندوات العلمية والمؤتمرات وحتى الدراما التي تقدم الخطاب الديني على شكل مسلسلات وافلام دينية.

وبغض النظر عن تلك الصور والجهات التي تمثل الخطاب والقنوات التي تتكفل بايصاله ، يحضى الخطاب الاسلامي باهمية فائقة لانه يمثل فهم الدين في ضوء متطلبات العصر بما يضمن وجود الانسان المسلم المتصالح مع عصره والمشارك فيه بفعالية وكفاءة ، وذلك من خلال ربطه نصوص ومبادئ العقيدة الدينية بواقع الحياة المعاصرة باسلوب وتعبير متجدد دائماً ليكون خطاباً متكاملاً منفتحاً وليكون قادراً على النهوض الفكري ويقوم على الابداع والانفتاح لاعلى الجمود والانغلاق ويعزز تماسك المجتمعات الاسلامية من خلال تأكيده على القيم والمفاهيم الانسانية كالتسامح والتعايش والعدل والمساواة.

فالتدين حيث يرتبط باصوله الاعتقادية السلوكية وحين يفهم فهماً سليماً ، يؤدي في نهاية الامر الى الارتفاع بمستوى العلاقات الانسانية بين افراد الجماعة وهذا الارتفاع هو الذي يسهل ويوظف التعاون الانساني ويساهم في احترام حقوق الافراد والجماعات ، اما حين ينحرف التدين❖ عن اصوله وعن اطاره المرجعي فانه يصير تديناً مغلوطاً يقضي الى حالة بعيدة الصلة عن الصورة التي سعى الدين الى بنائها واقامتها في الفرد والجماعة على حد سواء.

ان هذا الانحراف مثل اشكالية للحضارة الاسلامية حيث نسبت هذه الاشكالية لطبيعة الخطاب الاسلامي ، فالخلل في فهم المسلمين للخطاب الشرعي ومايترتب عليه من خلل في الخطاب عموماً كان من اهم عوامل تدهور الحضارة الاسلامية في حقب عديدة ، وان مضار الخلل الحضاري عند المسلمين اليوم مثل ضعف الحصانة الذاتية الثقافية ولفكرية وضمور المنهج العقلاني ، حتى اصبح في اتجاهه العام وفي حقيقته الراهنة يتجه نحو افكار خلقت ازمة فكرية انبثقت عن ذلك الخطاب وماحواه من مثالب واخطاء عززت اتجاهات العنف والتطرف واثارت الخوف وعززت الاسلاموفوبيا ، الامر الذي يستوجب اصلاح هذا الخطاب والعودة به الى اصوله الدينية واطاره المرجعي الحقيقي باهدفه ومبادئه السامية.

المبحث الثاني

مسارات الاصلاح في الخطاب الديني

يعاني العالم الاسلامي من مشاكل عدة تتعلق بالمتغيرات الحاصلة في ميدان الفكر والاجتماع وتتمثل احد اهم تلك المشاكل في ضعف وضمور الخطاب الديني حيث تسببت التحولات والحوادث الاجتماعية في وهن هذا الخطاب الامر الذي انعكس سلباً على جميع الثقافات الاخرى سواء في الحقول السياسية او الفلسفية او العملية وذلك لان الثقافة الدينية هي الثقافة المؤثرة "فعندما يتعرض الخطاب

الديني للتحلل والانكماش ، فان جميع الثقافات الاخرى ستتعرض للضعف والارتباك".(١٥)

وقد ادرك الفكر الاسلامي الحديث بان تجديد الثقافة الدينية تستدعي العمل على اصلاح الخطاب الديني وبيان خصوصياته ومزاياه الصحيحة ، وبدات مسيرة الاصلاح عملياً في اواخر القرن التاسع عشر ، حيث عكف قادة الرأي وزعماء الاصلاح ورواد التنوير في مصر والشام والعراق واليمن ، على دراسة تخلف الثقافة الاسلامية عن ركب الحضارة الاوربية وانعكاسها سلباً على طبيعة الخطاب الاسلامي ، واجمعت تصوراتهم المتباينة على ان العزلة الحضارية واهمال العلوم الحديثة والاستغراق في تقديس الموروث ، وغلق باب الاجتهاد ، وغياب الحس التعددي ، فضلاً عن انعدام الرؤية السياسية وغياب الوعي ، هي الاسباب الحقيقة التي ادت الى كل مظاهر الانحطاط الاخلاقي والسياسي والاجتماعي والثقافي والجمود في الفكر الديني.

المطلب الاول

الخطاب الحداثوي

وبالفعل بدأت مسيرة الاصلاح عملياً في اواخر القرن التاسع عشر ، حيث اكد المفكرون الاوائل ان الحاجة للإصلاح تبررها التجربة التاريخية الانسانية الحديثة التي رسخت الاعتقاد بان الاصلاح الديني ممر اجباري لولوج طريق النهضة ، وان اعادة تنظيم العلاقة بين المقدس والزمني شرط اساسي لتحريرالعقل من سلطة الحجر والوصاية المفروضين عليه من قبل طبقة الاكليروس ثم تحرير المجال السياسي من محاولات اقامة الشرعية على اساس ديني واحتكار تمثيل المقدس والتعبير عنه.

وتولى مفكرو الاصلاح آنذاك كالافغاني والكواكبي ومحمد عبده وغيرهم مهمة اعادة النظر في الفكر الاسلامي الذي كان يعاني الجمود والتخلف ، الامر الذي ادى الى الفهم الخاطئ لنصوصه ومنعه من ولوج ابواب الحضارة والتقدم والحداثة وتسبب بانقطاع فكري بين القرون الحضارية الاسلامية والقرون اللاحقة ، مما تسبب في فجوة معرفية واسعة اتضحت منذ بداية الغزو الفرنسي لمصر حيث دفعت هذه الازمة الحضارية المعرفية نحو اعادة قراءة وفهم التراث والاجتهادات الشخصية العقيمة.(١٦)

وبذلك كانت اهم مسألتين ضاغطتين عالجهما النهضويون في ملف الاصلاح ، مسألتي التوحيد ومسألة نظام الحكم المدني ، ففي الاولى قاوموا الابتداع والخرافة وسائر بقايا الوثنية في وعي النخبة والجمهور داعين الى العودة الى الاسلام الصحيح النقي ، اما الثانية فقاوموا من خلالها مقولة السلطة الدينية وسائر التعبيرات الثيوقراطية معيدين بناء الصلة بين الديني والزمني على النحو الذي يتقرر به فهم مدنية الحكم والدولة باعتباره جوهر الموقف الاسلامي الاصلي من السياسة والسلطة.

وفق تلك الرؤية يمكن القول ان اهم سمات الخطاب الاسلامي في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين: (١٧)

١- الانفتاح : حيث نجح الخطاب النهضوي في ان يحقق انفتاحاً متوازناً على منجزات العصر ، ولم يتردد في الاستعارة من المنظومات الفكرية الحديثة ، وتوطين الكثير من الافكار الحديثة في نسيج منظومة الفكر التقليدي ليجعلها تتأقلم مع تحولات الفكر والمعرفة في العالم الحديث.

٢- المصالحة مع العصر: ومن مظاهر المصالحة مع العصر ومعطياته ، التأكيد على اهمية العلم والاعتراف بسلطة المعرفة العلمية دون ان ينال ذلك من العقيدة ومن سلطة الايمان والحقيقة الدينية ثم المصالحة مع النظام السياسي الحديث والاعتراف بشرعية المصادر المدنية التي تقومة عليها الدولة الحديثة ، ثم المصالحة مع فكرة نسبية الافكار واللجوء الى افكار الاخر والاستفادة منها واعتمادها في بناء التصورات الفكرية.

٣- الواقعية: حيث كانت مطالب دعاة الاصلاح واقعية ومحكومة بمراعاة حقائق التحول الجديد وامتداد النفوذ الغربي في البلاد العربية والاسلامية ساعين الى مشروع فكري ومجتمعي والبحث في امكانية تحقيقه مادياً باعتمادهم قاعدة الممكن.

٤- السمة الفكرية ، حيث كانت الدعوة الاصلاحية دعوة فكرية في المقام الاول وتطلعت الى صوغ مشروع فكري اصلاحي يهدف تحرير الوعي من الانحراف والتقليد والدفع به نحو الاجتهاد والتجديد والابداع.

٥- السمة الثقافية: فقد عول الخطاب الاصلاحي على الثورة الثقافية سبيلاً الى تحقيق النهضة والانفتاح على الفكر الانساني الحديث للاستفادة من مكتسباته وفي هذا الاتجاه التزم هذا الخطاب اخلاقاً فكرية حضارية تمثلت في الاصغاء والتفكير.

ورغم كل تلك السمات والخصائص إلا أن ما يؤخذ على هذا الخطاب انه لم يكن فكراً تأسيسياً بنائياً ، ، بل اصلاحياً علاجياً ربما لان الإشكاليات كانت في اساسها اشكاليات فكرية ومعرفية فقط سائدة في ظل كيان اسلامي ضخم وقائم – الدولة العثمانية-.

ورغم امتلاكه الحد الأدنى من أُطر الوحدة والقوة والمناعة ، إلا ان هذا الخطاب انتهى الى التقوقع والانزواء مع توسع الغزو الاستعماري الاوروبي وسقوط الخلافة العثمانية ، فشهد مطلع القرن العشرين انتهاء الحقبة الاصلاحية وغياب ملامحها النهضوية الاصلاحية.

وتزامن مع ذلك فرض نماذج معرفية وثقافية ونظم سياسية على غرار النظم الاوربية ومتعارضة مع تراث الامة ، وساهم احتلال فلسطين والاستبداد السياسي الداخلي في نكوص الخطاب الاسلامي نحو الانغلاق على الذات والانكفاء على الجماعة والفئة الاسلامية الواحدة بعيداً عن الافق الانساني الاوسع.

المطلب الثاني

سمات الخطاب الاسلامي المعاصر

لقد وضع نشوء حركة الاخوان المسلمين بزعامة حسن البنا مقدمات القطيعة بين فكر الحركة الاسلامية الجديدة وفكر الحركة الاصلاحية ، رغم انتمائهما الى نفس المرجعية الفكرية واتفاقهما على رفض مشترك للواقع القائم والتطلع الى تحقيق النهضة والانبعاث الحضاري للمجتمع والامة ، ولكنهما لم يتفقا على تقدير اسباب التخلف والانحطاط التي وصل اليها المسلمون ولا في تقديرهما لكيفية معالجة ذلك والادوات التي ينبغي الاستعانة بها من اجل النهوض.

وفي مقابل خصائص الواقعية والانفتاح الفكري لحركة الاصلاح وخطابها النهضوي ، بدأت

ملامح وخصائص جديدة تلقي بظلالها على خطاب الحركات الاسلامية او مايطلق عليه الخطاب الصحوي ، ومن ابرز تلك الخصائص: (١٨)

١- الانغلاق: وخاصة امام المنظومات المعرفية الحديثة ورفض الاعتراف بشرعية مبادئها ، والدعوة الى ضرورة مقارعتها بأفكار السلف والاعتداد بالذات والماضي والحرص على حراسة الحقائق المطلقة من الشك والنقد ولذلك تم رفض اي حوار مع منظومات الاخر لانها عارية عن الشرعية – بحسب ممثلي بعض الحركات-.

٢- الابتعاد عن الجانب العلمي: فقد ذهب الخطاب الصحوي الى مهاجمة العلم وتقييده ووصفه وصفاً حدياً في مقابل الايمان ، وذهب الى مقارعة فكرة الدولة الحديثة بدعوى انها دولة علمانية ملحدة مجافية للدين، ورغم دعوة البعض الى الاجتهاد في الدين ، فانه لم يعني لديهم تكييف الفكر الاسلامي مع حقائق التطور ، بل هو ذلك المبدأ الاصولي الفقهي الذي يمكّن اعماله للجواب عن نوازل لم يرد بشأنها نص صريح ، فاصبح الاجتهاد انغلاقاً وتشرنقاً في مدونة اصول الفقه.

٣- الطوباية: فلم يهتم الخطاب الصحوي بالبحث عن الممكنات في مضمار البناء الفكري والاجتماعي ، بل الدعوة للثورة على كل شيء حتى دون ان تتوفر الامكانات الذاتية لإنجاز تلك الثورة ، ولذلك حكم على اهداف الحركات التي مثلت ذلك الخطاب بان تظل مستحيلة التحقق.

٤- الاقصاء والتكفير: ان اعتماد هذا الخطاب على الثورة السياسية سبيلاً، وانغلاقه على المصادر الذاتية فرضا عليه ان يكون خطاباً شمولياً ويدعي كفايته بنفسه وغناه عن الحاجة الى معارف غيره ، وفتحت بعض الافكار والمصطلحات التي اطلقها المودودي وسيد قطب - كالحاكمية والجاهلية – الباب لانتشار فكر التكفير واستساغه التعامل به في المجتمعات الاسلامية ، ونمّت التطرف وغذّته وانشأته ، وساهمت العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية في انتشار هذا الفكر المتطرف وتغذيته.

لقد كانت خطورة هذا الفكر تكمن في مساعدته على ظهور التنظيمات والحركات الارهابية التي ادعت انتسابها الى الاسلام مقترنة بالعنف والعداء للمظاهر العقلانية والحداثة ، داعية الى اقصاء المرأة والتضييق على الاقليات ، ورفض الآخر حتى اصبح العالم يتوجس من كل ما هو اسلامي او مسلم ، حيث اقترن الارهاب بالإسلام واصبح يشكل تهديداً دائماً للأمن العالمي.

وتعرض هذا الفكر وخطابه المتطرف التكفيري الى نكسة كبيرة بعد فشل مشاريع التنظيمات الجهادية في المنطقة والقضاء على الجزء الاكبر من انصارها ، ورفض المجتمعات العربية والاسلامية للأساليب الوحشية التي استخدمتها في سبيل تحقيق اهدافها . ولوحظ انزواء هذا الخطاب وتقوقعه على نفسه اكثر حتى تحول الى خطاب طائفي مذهبي ضيق في كثير من الدول الاسلامية.

المبحث الثالث

اشكاليات الخطاب الاسلامي

ورغم تجاوز الخطاب الاسلامي لخصائص التكفير والتطرف المعلن ، فانه لازال يعاني من اشكاليات حقيقية ومن سلبيات عديدة تقف حائلاً دون انتاج خطاب اسلامي معاصر يتلاءم مع مقاصد الشريعة الاسلامية من خلال تصحيح رؤيته للآخر باختلاف عناوينه وتحصين الشباب من آفة الفكر المتطرف والدعوة الى التسامح والخروج الى الفضاء الانساني الارحب من خلال ترسيخ القيم الاسلامية والنماذج المعرفية الانسانية الكامنة في الفكر الاسلامي والتي هي جوهر مضمونه.

المطلب الاول

التقليد والتجديد

ما يزال الخطاب الديني الذي يمثله العديد من العلماء محصوراً في الاحكام الشرعية بصيغتها التراثية ومفرداتها القديمة فعقلية معظم الذين يمارسون الخطاب بمختلف صوره ومستوياته التربوية والاعلامية ماتزال مثقلة بالكثير من المثالب ولا ترتق لمستوى العصر ، حتى ساد التقليد والتمسك بالماضي والتراجع الحضاري واصبحت اهم اشكاليات الخطاب الديني المعاصر التسليم لأفكار الماضي واتجاهاته ورفض تاريخية تلك الموروثات ، اي رفض ارتباطها بعوامل مؤثرة داخل المنظومة الاسلامية كالعوامل الثقافية والسياسية والمذهبية ، والسعي الى استعادة الاصل والتطابق معه وبنماذجه وصوره واطيافه.

ويعبر(حسن الترابي) عن هذه الصورة للخطاب بتأكيده على انه اصبح " نصيبنا من الاسلام تدين تقليدي متأخر عن حركة الحياة في الاعتقاد والفكر والعمل ونضبت في مواقفنا العقدية معاني التوكل والاقدام واصبح غاية امرنا ان نحفظ بقية الدين لا نزيده ولا نجدده" ، مضيفاً ان الفكر الاسلامي الذي انتجته المواقف العقدية في عهود الانحطاط ، فكر يدبر عن واقعه الحاضر ويتشبث بتراث الفكر الذي نشأ عن واقع سالف وذلك من فرط تعلقه بالماضي وارتباطه بالحاضر وخوفه من المستقبل.(١٩)

ان جوهر مشكلة التقليد تكمن في تقديس التراث الفقهي وعدم الاعتراف بوجود فاصل بين التراث والدين ليس من الناحية النظرية وانما من الناحية العملية ، حيث يتم التعامل مع التراث كانه مطابق للدين ، مع ان التراث وان تعلق بالشريعة الاسلامية فانه نتاج اجتهادات رجال اصابوا او أخطأوا وان هذه الاجتهادات مرتبطة بواقع ومستجدات عصورهم من ناحية ، وبدرجة تكوينهم الثقافي من ناحية ثانية.

وبسبب سيادة التقليد والتراجع الحضاري علا صوت العوام في الحياة الفكرية واضافوا لمعنى النص كل ما كتب الاقدمون في المذاهب الاسلامية حتى لو كان تفكيرهم قد ارتبط بأحكام اختلفت شروط اعمالها ، او بعادات قد تغيرت ، وبذلك توسع التقليد خلافاً لتوجهات ائمة المذاهب الذين كانوا ينهون الناس عن تقليدهم اذا رأى المقلد قولاً في الكتاب والسُنة اقوى من قولهم ان يأخذ به بدل اقوالهم.

ان مسألة التقليد والموقف من التراث الفقهي قد شغلت الكثير من المفكرين وطرحت ازاءها الكثير من الآراء ، فعلى سبيل المثال يجزم (

محسن عبد الحميد) بان المفكر المعاصر في مواجهته قضايا الانسان الجديدة الجزئية والكلية ، لايستطيع ان يستغني عن المادة المعرفية الفقهية بمذاهبها المتنوعة لأنها عالجت قضايا الانسان ومشاكله ، ويؤكد بان المذاهب الفقهية والاصولية تضع امام الفقيه اليوم عدة حلول للقضية الواحدة.(٢٠)

ويطرح باحث آخر وجهة نظر مغايرة عندما يؤكد على ان العودة للتراث وان كان امراً ضرورياً ، ولكن الغاية منه عدم تكرار تلك الآراء والاجتهادات بل الاخذ منها والبناء عليها بعد تدقيقها ومعرفة مايتوافق مع احوال العصر، فالتراث وان كان معين الهوية التاريخية والاجتماعية للأمم ، ولكن ذلك لايعني التسليم التام بالتراث لانه شان ونتاج بشري متأثر بالظروف الاجتماعية والتاريخية وهو عرضة للتغيير وليس مقدساً او خالداً.(٢١)

ويأتي هذا الرأي متوافقاً مع تيار تجديدي يقف في مواجهة دعوات التمسك بالتراث واعتماده في القضايا المعاصرة ، ويؤكد دعاة التجديد في الخطاب الاسلامي، على انه باستثناء الكبريات الاسلامية ، فانه لايوجد ثوابت مطلقة لاتخضع للدراسة والنقد العلمي فكل المشهورات وما تسالم عليه الاصحاب هو امر يجب اخضاعه من جديد للبحث والتمحيص لانها نتاجات محكومة بظروف قائليها.(٢٢)

ان حركة التجديد التي تقابل التقليد ، يراد منها ان تكون حركة تصحيحية تبنى على اسس منطقية وموضوعية علمية من خلال استقراء تاريخي فكري ، يرمي الى اعادة النظر بكل ما وصلنا من احاديث وروايات وعرضها على القرآن الكريم والعقل السوي ، وفحصها من ناحية السند والمتن دون تقديس لأي شخص قالها او رواها او نقلها او دونها في كتاب ، واعادة النظر الفقهي فيما صدر من فتاوى على مر العصور تحت تأثيرات مختلفة ، سياسية وايديولوجية ومذهبية ، واعادة النظر في الكثير مما اصبح عند البعض عقيدة او بدرجة العقيدة فضلاً عن اعادة النظر في مسائل تاريخية بروح موضوعية استناداً الى الادلة الصحيحة مع مراعاة النظر في المذاهب الاسلامية على اسس علمية لتمتين اللحمة الاسلامية والوصول الى الوحدة الاسلامية والتعايش السلمي والحوار الحضاري.(٢٣)

ازاء هذا الطرح تطرح تساؤلات عن معنى التجديد وهل يعني تفكيك الكيان الفكري باسره واعادة تركيبه وفق ضرورات الواقع وتطلعات المستقبل ليكون لنا فكر اسلامي لاعلاقة له بالفكر السابق ؟ ام ان التجديد يفرض تجديد المفاهيم التي استهلكت بفعل مرور الزمن وطرح المسائل المستحدثة التي لم يعالجها الفكر السابق؟

ويجيب (محمد حسين فضل الله) على ذلك بالتأكيد على ضرورة الابقاء على المضمون الاصيل الموجود في المصادر الاسلامية الرئيسية لانه يمثل القاعدة للفكر الاسلامي ، ولكن لابد من النظر اليه بشكل مستقل عن نظرة المجتهدين السابقين (٢٤) ، وبذلك لاتنطلق الفكرة التجديدية من انقلاب على الماضي وثورة على مفاهيمه بل تنطلق من اعادة النظر فيه من اجل محاولة فهمه بطريقة منهجية جديدة لاختلاف فهم النص بين

المنهج القديم والمنهج الحديث مما يترك اثره على النتاجات الفكرية.

وتأتي تلك التطمينات في مواجهة موجة التشكيك والتحذير من ابعاد التجديد الذي قد يؤدي الى تفرق المسلمين وتشتيتهم وتبديد هويتهم ، لاسيما وان الناس أصبحوا مفتونين بالتطور لذاته وبالتبديل اعتباطاً ، ويجهل المشككون بأن الجمود الفكري يؤدي الى ضلال اوسع من الاجتهاد وفي كل حال فأن" التفرقة تتأتي من الجمود أكثر مما تتأتي من الاجتهاد(٢٥) " ولنتذكر بهذا الصدد ما أكد عليه محمد عبده قبل أكثر من مائة عام بأن فكرة تجديد الخطاب الديني لم تعد رفاهية كما كانت من قبل بل صارت فرض عين على العلماء لدفع البلاء عن الامة بعدما لحق بها موت وخراب . (٢٦)

يبدو ان هذه الدعوة لم تأخذ صداها بسبب الخوف من ان ينال اي تجديد او اجتهاد من جوهر الدين واصوله ، وعدم ادراك البعض الى ان التجديد لايعني تقليداً بلا بينة ولايعني تبديداً للشرع تحت اي مسمى ، وانما يعني اعادة الدين الى نقائه الذي كان عليه يوم نشأته حيث الاصالة الفكرية لاركانه وثوابته، كما يعني القدرة على استيعاب مستجدات العصر وما يحمله من قضايا لم تكن معروفة من قبل وتحتاج الى بيان موقف الشريعة منه ، ويتم ذلك من خلال الاجتهاد سواء اكان فردياً او جماعياً لاسيما وان هناك العديد من القضايا والمشكلات المعاصرة التي تحتاج الى اجابات فقهية وتقع في منزلة التجديد ومنها المسائل المتعلقة بالتنمية والعدالة الاجتماعية وكرامة الانسان وحقوقه ، والشورى ، وعلاقة الحاكم بالشعب والحداثة ، واهمية ردم الهوة بيننا وبين العالم المتقدم في مجال الصناعات والتقنيات وتطوير العلوم.(٢٧)

المطلب الثاني

نزعة الاختلاف وفقه الائتلاف

تعد المذهبية العنيفة احد سلبيات الخطاب الاسلامي المعاصر ، حيث يدعي كل فريق انه على الحق ويمتلك الحقيقة المطلقة في فهم النصوص وتنزيلها على الواقع ، وماسواه الباطل، الامر الذي يسهم في تحويل الامور النسبية الى مطلقة وتأطير الافكار بهالة من قدسية الفكرة وتلبيس فكر الطائفة بلباس الحقيقة الكاملة ، وتعبأ طاقات الناس الروحية باتجاه واحد ، في حين ينظر الى الاتجاه الآخر كنقيض ومصدر تهديد له ، فتنشأ عن ذلك نقائض روحية ونفسية وعقلية بين الفريقين واذا ما بعثت هذه النقائض فانها تؤدي الى العنف والعنف المضاد ويتحول الدين الى مؤسس عداءات وخالق ازمات بين المسلمين.

ان من نتاجات ذلك ان تصبح الطائفة والمذهب مهددة للسلم الاهلي والوحدة الوطنية في بلاد عدة ، وبهذا الصدد يرى احد المفكرين (٢٨)ان هناك خطة تجهيلية في التربية المذهبية الاسلامية تخطط لابعاد المسلمين بعضهم عن بعض من خلال التأكيد على مواقع الخلاف بدلاً من مواقع اللقاء والتركيز على السلبيات بشكل مطلق من خلال تقديم صورة الفريق الاخر بصورة مشوهة ، الامر الذي يساعد على اشاعة اتهامات الانحراف والضلال التي يحركها الخطاب المتطرف.

واذا ترافق ذلك مع عدم العناية الكافية بمضامين المصطلحات سيؤدي الى ترسيخ سلبيات الخطاب الاسلامي ليكون الغلو في فهم مصطلحات الفرقة الناجية والطائفة الظاهرة والجماعة المسلمة منطلقاً للتكفير المذهبي ، وبعض شواهد الواقع تشير الى توجه بعض الخطباء وبدلاً من التركيز على ما يوحد المجتمع ويحقق له التعايش بامن وسلام من خلال البحث عن المشتركات بين المواطنين والتركيز عليها لتجنب كل مايفرقهم ، فانهم يعمدون الى اثارة الضغائن والتركيز عليها ويقوم البعض على سبيل المثال بلعن رموز ومعتقدات الآخرين او يحرض على غير المسلمين او مقاتلتهم باعتبارهم كفاراً ويدعو الى اجبارهم على دفع الجزية ، ويؤدي هذا الخطاب الى الفتنة واثارة النعرات الطائفية وتعبئة نفوس ابناء البلد الواحد بالحقد والعداوة ويبتعد عن المنطلقات الانسانية والافق الواسع للخطاب الاسلامي الحقيقي.

ان ماتقدم لايعني سلبية التعددية المذهبية ، بل العكس يمكن عدها ظاهرة ايجابية تعبر عن ثراء الفكر وحرية الرأي وقدرة العقل على الفهم المتعدد كما يدل على خصوبة النص الديني في دلالته على المعاني المتعددة المستفادة منه ، ولايمكن اعتبار ذلك معضلة يراد التغلب عليها والتخفيف من اثارها ، فليس من الخطأ ان ينتمي الانسان لعقيدته المذهبية شرط احترامه للاخرين.

ان واقع الخلاف لايخلو من بعض المحاولات للعديد من المفكرين والباحثين والمثقفين من مختلف المذاهب الاسلامية بغية التواصل وتجاوز الفروقات المذهبية من اجل توطيد اسس التعايش والتسامح بين المسلمين في المنطقة ، غير ان تلك المحاولات تصطدم بمعوقات عديدة منها: (٢٩)

١- ان الدول والاحزاب تضع حاجزاً امام هذا التواصل وتفرض ان يكون هذا التواصل ضمن قنوات محدودة ومراقبة على الداوم.

٢- النقد والتخويف الذي يواجهه الساعون نحوالتواصل من قبل الاتجاهات المذهبية التي ينتمون اليها لاسيما اذا كان المثقف الديني متعالياً عن المذهبية ، الامر الذي يفقده شرعيته داخل جماعته ويعيش قلقاً في الاعتراف به داخل مذهبه.

٣- مشكلة تسيس المذاهب ، حيث تضع هذه المشكلة المثقف الديني امام خطورة اتهامه السياسي في حالة انفتاحه على الآخر او اراد ان يشكل معه هوية واحدة مع حفظ الخصوصيات.

٤- المشكلة التي تتعلق بالتفكير الطوباوي والدوغمائي المتعالي لكل مذهب ، فكل فريق يحاول ان يوحي لنفسه ان علاقته بالآخر هي علاقة تصدير فكري وليس استيراد او اقتباس فكرة للاستفادة منها. وهذا المشهد يمكن ملاحظته في المعاهد العلمية التقليدية عند الفرق المذهبية الرئيسية ، فنجد عبر التاريخ ان علماء الشريعة من كل مذهب لايقيمون وزناً للطروحات والاجتهادات الموجودة في المذاهب الاخرى ، ويمكن ملاحظة الاتهامات المتبادلة بعدم امتلاك العمق في الاجتهاد الديني على سبيل المثال او عدم اصالة المنجزات الفكرية لاحد الفريقين.

٥- مشكلة القلق العقائدي ، فاستحضار الاخر في الدراسة الدينية قد يعني نفاذ الآخر في تفكيره ومقولاته ، الى منظومة القارئ وقد يغير من

عقائده ، وهذا الامر مرفوض من الناحية العقائدية عند التيارات التقليدية وحتى الدراسات المقارنة في المعاهد والجامعات والحوزات العلمية تقع في الغالب ضمن سياق نقد الآخر واثبات الذات وتفوقها وليس في سياق بناء مكون جامع للمعرفة الدينية يستوعب في ثناياه تراث المسلمين بمختلف مذاهبهم .

ان ما تتعرض له الامة الاسلامية من اوضاع واخطار بسبب اثارة الخلافات المذهبية تحتم على الجهات الدينية محاولة انتاج خطاب اسلامي يؤسس في حياة المسلمين اليومية فقه الائتلاف الذي يعمل على تعميق المشترك وتعزيز الجوامع وتوسيع قاعدة المتفق تحقيقاً لموجبات الوحدة والوئام المدني والسلم الاجتماعي ، في الوقت نفسه يكرس لادب الاختلاف انطلاقاً من مبدأ اقرار حق كل صاحب مذهب او رأي معتبر في تبنيه والدعوة اليه وفق الاصول العلمية مع رعاية حفظ المحرمات وعدم التشنيع على المخالف. (٣٠)

واذا لم يكن بد انتقاد شخص او جماعة او فكرة فليكن بالإنصاف والاعتدال ومعرفة الرجال والافكار بالحق لا العكس والانطلاق من انه لامعصوم الا من عصمه الله تبارك وتعالى.

ان الامة الاسلامية تبقى امة واحدة وان تعددت فيها المذاهب تجتمع حول عقيدة واحدة ومنهج واحد ومصالح ومصير واحد ولذلك فهي بامس الحاجة الى تظافر الجهود والامكانات وان تفعل مشاريع التقريب بين المذاهب لتكون اثر واقعية من قبل .

المطلب الثالث

القصور البنيوي والعمل المعرفي

يتطلب اصلاح الخطاب الديني ثلاثة امور اولها: المادة العلمية الصحيحة المتفقة مع روح الاسلام وسماحته ، وثانيها : الوعاء الذي توضع فيه هذه المادة وهي العقل الانساني ،وثالثهما : صيغة الخطاب الذي سيطرح به الموضوع محل التناول.

ولمعالجة هذه النقاط الثلاثة ولغرض تقييم وضع الخطاب الاسلامي ومن يمثله من الدعاة والخطباء ، عقدت الكثير من المؤتمرات والنقاشية لاسيما في الدول العربية التي شهدت حراكاً شعبياً وثورات الربيع العربي كمصر وتونس ، واتفق المختصون في هذا الجانب على ان اغلب الدعاة لا تتوفر فيهم النقاط المذكورة فهم تقليديون في فكرهم وليس لديهم القدرة الكافية على فهم النصوص فهماً عصرياً يتناسب مع الزمان والمكان وواقع الحال ولتكون ملبية لمتطلبات العصر واحتياجاته بعيداً عن الغلو والتشدد ، كما يؤخذ على بعض الدعاة ضعف تكوينهم العلمي والفكري وعدم الالمام بالواقع ، وضرورة الموازنة بين الحاجات الروحية والمادية ولذلك لايحسن من يمثل هذه الفئة معالجة المشاكل والمتغيرات المعاصرة ، اما لعدم فهمهم بآلية معالجتها او لعدم اطلاعهم على مادتها العلمية ، او لعجزهم عن تكييف قضاياها من وجهة نظر الشرع ، او لعدم اهتدائهم الى وجه المصلحة في القضية المطروحة

واضحت الكثير من المفردات التي يستخدمها هذا الخطاب تثير اشكالات الماضي في قضاياه ومشكلاته ، وتعمل على تحريك نزعاته وخلافاته لاشغال الساحة بالأوضاع السلبية التي لا علاقة لها بالواقع

من قريب او بعيد ، ويخلق غير المؤهلين وغير المختصين لبعض جوانب المشهد الدعوي اكثر من مشكلة او فتنه قد تعطل جهود التقارب وردم الخلافات.

وقد يعزى ذلك الى مايسمى بالأمية الدينية التي تعد المحرك الاول للفكر المتطرف فاعظم انواع الجهل هو الجهل الديني الذي يترتب عليه الفهم المتشدد والمتطرف والعنيف.

ونظراً لأهمية وخطورة ماتقدم يطرح المختصون توصيات عديدة منها: (٣١)

١- ضرورة ضبط المنابر بحيث لايعتليها الا من يحصل على اهلية علمية من مشارب موثوقة لإنتاج خطاب علمي وهادف يعالج القضايا المجتمعية بقراءة واقعية هادئة تتسم بالوسطية والاعتدال.

٢- اقامة دورات تدريبية للدعاة تتناول مهارات الافتاء والحصول على معلومات في علم النفس والاجتماع ليطلع على مشكلات المجتمع ويعرف كيفية التعامل معها بشكل صحيح .

٣- وضع خطة مرحلية ومتكاملة لتصحيح المفاهيم المطلوبة وتحرير الفكر مما علق به من تشوهات سواء في مجال الشريعة او العقيدة او الاخلاق ، وان يكون الهدف اصلاح الانسان ونهضة المجتمع ، وان تقدم رؤية يمكنها التعامل بطريقة فعالة مع اوضاع البلاد الاسلامية ومشاكلها.

٤- على عاتق المؤسسات الدينية تقع مسؤولية اختيار الدعاة على اساس الخبرة والدراية وحجب غير المختصين من التصدي للمسيرة الدعوية واستبعاد المتزمتين والمتطرفين.

٥- التأكيد على ان الواقع وتحدياته يعد مطلباً اساسياً يقع على عاتق اصحاب الاختصاص في المؤسسات والحوزات العلمية والحركات الاسلامية ليكون الفهم الديني الجديد علمياً رصيناً واقناعياً وجاذباً للنخب والجمهور وإلا فان حالة الانغلاق بشقيها المتباعد عن الدين والمبتدع فيه يشكل خطراً على النسيج الايماني الاجتماعي والوحدة المجتمعية.

٦- من الامور التي لابد للداعي ان يراعيها هو موضوع الخصوصية فرغم وجود مسائل مشتركة تقال للجميع ويخاطب بها الجميع ولكن تبقى هناك خصوصية لكل فئة توجب على العالم والداعية ان يوجه لها خطاباً خاصاً يجيب عن تساؤلاتها ويحل مشاكلها ويرد على شبهاتها.

ان مراعاة هذه الاعتبارات تحضى اليوم بأهمية متزايدة لاسيما بعد انزواء بعض الخطاب المتشدد الذي تتبناه التنظيمات الجهادية ، من اجل ان يرتقي الخطاب الديني الى مستوى الاستجابة للحاجات الجديدة ومن اجل ان يعطي انطباعاً ايجابياً من خلال اصلاح الفهم الديني والركون الى التجديد وفتح باب الاجتهاد لاستيعاب متطلبات المرحلة الحالية وتصحيح المفاهيم المغلوطة عن سماحة الاسلام وقيمه

فضلاً عما تقدم يغفل البعض طبيعة الشريعة الاسلامية وكونها عقائد واحكام وتزكية ، مما يجعله يركز على الظواهر والجزئيات بدل الكليات والمقاصد ، وجعل المعارك حول قضايا الحجاب والنقاب واللحية والاثواب تحتل الصدارة لدى قطاع واسع من اصحاب المشروع الاسلامي ، الامر الذي يؤثر على الحريات

الفردية والجماعية ويعمل على تضييقها لابعد الحدود حتى وضع الاسلام مقابلاً ونقيضاً للحرية في زمن ثورات الشعوب ضد قوى الاستبداد والهيمنة والنزوع نحو الحرية والديمقراطية.

ان الخطاب المعاصر يتسم باغفاله مايسمى (فقه الاولويات) الذي راعته الشريعة في التشريع والاحكام ، والذي يعرف بانه وضع كل شيء في مرتبته فلا يؤخر ماحقه التقديم او يقدم ماحقه التأخير ، ولايصغر الامر الكبير ولا يكبر الامر الصغير ، فهو فقه مراتب الاعمال حيث يفاضل بين الاعمال من حيث ايها اولى بالتقديم على غيرها.(٣٢)

ان اغفال هذا الفقه يجعل الدعاة والامر الغالب في خطابهم يتجه نحو تسييس الدين وحصر آليات النقد الذاتي والتغيير المجتمعي في الحكم ولا يعي بأن تطبيق الشريعة يعد تنظيماً لجوهر الاسلام باعتباره يقوم على منهج متكامل من المعرفة والسلوك ومنظومة القيم المنبثقة عنها ، ويعتقد البعض ان تفكيك المنظومة الاسلامية الشاملة لحساب ماهو سياسي فقط لاطائل منه لاسيما وان المسلم اليوم يفتقر قبل كل شيء الى ما يوقظ ضميره ويحفزه على العمل المنتج والنهوض بالمسؤولية في كل قطاع من قطاعات الحياة ، وحثه على الاستقامة والايمان.(٣٣)

الخاتمة

أدرك المفكرون والمثقفون العرب والمسلمون في وقت مبكر اهمية الخطاب الديني ودوره الاساسي في ايصال اهداف الاسلام وقيمه الى المتلقين ، ولذلك بدأت مسيرة الاصلاح منذ القرن التاسع عشر ، وقد شهدت بداية المسيرة اصلاحات وخطوات حقيقية ، من خلال المحاولة في ترسيخ قيم العقلانية والمدنية ، واعادة الاعتبار للعلم كقيمة عليا من قيم النهوض الحضاري ، مع الدعوة والعمل على الحوار والتعايش السلمي والحوار مع الاخر المختلف.

غير ان تلك المسيرة واجهت اخفاقات عدة بسبب الظروف السياسية التي شهدتها المنطقة مع دخول الاحتلال الغربي ، وتعرض الخطاب الاسلامي منذ منتصف القرن العشرين الى حالة من التراجع والنكوص ، عندما بدأ بإشاعة وترسيخ قيم العنف والتطرف والاقصاء. وتجلت خطورة ذلك الخطاب في تجسيد بعض الحركات الاسلامية قيم هذا الخطاب المتطرف من تكفير واقصاء وعدم اعتراف بالآخر ، مما استنفر الجهود العلمية في العالم الاسلامي لمواجهة هذا الخطاب وابعاده على ارض الواقع . وقد اثمرت تلك الجهود في التخفيف من حدة هذا الخطاب وساعدت على انحساره بشكل كبير مع ذلك ظلت هناك اشكاليات عديدة يعاني منها هذا الخطاب الامر الذي يستدعي :

- استمرار الجهود وعلى كافة المستويات العلمية والثقافية والسياسية في مواجهة سلبيات وازمات الخطاب الاسلامي من خلال التواصل المعرفي بين كل تلك المستويات.

- ان الاحداث الدموية التي شهدها العالم العربي والاسلامي وحتى الدولي بسبب تداعيات وآثار الخطاب الديني المتشدد ، يلقي بمسؤولية كبيرة على عاتق المؤسسات الدينية لتأخذ زمام المبادرة في اصلاح ومراجعة الخطاب الديني الاسلامي وتنقية مصادره وفق منهج علمي رصين.

❖ على ممثلي الخطاب الاسلامي الخروج من دهاليز الماضي وقضاياه ومشكلاته ، الى افق المستقبل من خلال تناول القضايا الجديدة والمهمة المتعلقة بحقوق الانسان وحرياته ومواضيع التنمية والارهاب والتخلف والمشاكل الدولية ليملك زمام المبادرة ولايبقى في فلك وموقع رد الفعل .

❖ان اصلاح الخطاب الاسلامي يستدعي اصلاحاً للفكر الاسلامي والتأصيل للفهم الديني من خلال التعمق في النص الديني ومحاولة رد الاعتبار للقيم الدينية ورفع ما أُثير حولها من شبهات.

❖على المفكرين والمثقفين العمل على استمرار الحوارت العلمية مع المؤسسات الدينية وبعث التطمينات لطبيعة الاصلاح بعده عمل تجديدي وليس عملية تخريبية تنال من الدين وقيمه وصلاحيته لكل زمان ومكان .

❖ لابد ان يدرك القائمون على الخطاب الديني من خطباء وعظاة ودعاة ، اهمية نقد الذات والتخلي عن الخطاب الوعظي والتمجيدي الدفاعي ، والتوجه بالاهتمام بالدراسات الميدانية لاوضاع العالم الاسلامي حتى لايبقى يدور في دوامة المثاليات والطوباية غير المجدية ومراعاة كل ذلك قد يسهم في تقديم منهجاً مرتبطاً بالزمان والمكان والانسان ، موصولاً بالواقع ، مشروطاً بلغة العصر ، منفتحاً على الاجتهاد والتجديد ، ثابتاً في الكليات والاصول ، مرناً في الجزئيات والفروع ، محافظاً على الاهداف ، متطوراً في الوسائل ، منفتحاً على الحضارات ، مراعياً للخصوصيات ، عاملاً على تعزيز المشترك الحضاري والانساني ، مرتبطاً بالأصل ومتصلاً بالعصر.

ان تلك الخطوات قد يكون من شأنها وضع اسس لخطة علمية عصرية شاملة وجادة للاصلاح من اجل انتاج خطاب اسلامي يستشرف المستقبل ولايتنكر الماضي ويدين التخريب والارهاب ، ويرفض الانغلاق والتحجر والغلو ، ويؤمن بسنن الاختلاف والمرونة والتسامح والتعايش والتعارف الانساني .

المصادر:

١- ديان مكدونيل ،مقدمة في نظريات الخطاب ، ترجمة دكتور عز الدين اسماعيل ،القاهرة ،المكتبة الاكاديمية ،٢٠٠١،نقلا عن :هبة عبد المعز احمد ،تحليل الخطاب، مركز النور،٢٠٠٩

٢- نقلا عن اسراء ربحي ،مفهوم الخطاب ، www.mawdoo3.com

٣- مريم العريني ،ماهو الخطاب ، www.mawdoo3.com

٤- فاطمة روايدة ،الخطاب اصطلاحا ، www.mawdoo3.com

٥- عبد الرحيم الخلادي في الخطاب وتحليل الخطاب ،الحوار المتمدن ،٢٠١٠

٦-محمد الكناني ،الخطاب الاسلامي ومتطلبات المرحلة الراهنة ،مواد في مجلة الاحياء www.alahiai.com،

٧- محمد يونس، تجديد الخطاب الاسلامي ،القاهرة ،الدار العربية ،٢٠١١،ص٤٠

٨- د.خالد روشة ،الخطاب الاسلامي :مقاربة منهجية almslim.net.

٩- د.ماهر احمد السويس ،مفهوم الخطاب الديني وسماته ،محاضرة في قرية الفنون والحرية ،جمعية القدس للبحوث والدراسات الاسلامية ٢٠١٠ .

١٠- عبد الملك منصور القصعبي ،خصائص الخطاب الاسلامي المعاصر www.raya.com ،

١١- د.حسن حماد ،تأملات في كتاب المسلمون بين الخطاب الديني والخطاب الالهي ،صحيفة الديار ،يوليو ،٢٠١٣.

١٣-شريف درويش اللبان ،الصحافة العربية وتجديد الخطاب الديني ، www.acreg.org

١٤-مفهوم الخطاب ، www.alsekeena.com

❖يخلط البعض بين الدين والتدين بينما ان لكل منهما اسسه ومقوماته ،فالدين ذو اصل واحد هو الاصل الالهي اما التدين فهو نهج واسلوب بشري وهو ناتج للاجتهاد في الدين . للمزيد انظر ،عبد الاله بلقزيز ،الدين والتدين :مقاربة في الفروق www.alkhaleeg.ae

١٥- محمد مجتهد الشبستري ،نقد القراءة الرسمية للدين ، ترجمة احمد القبنجي ،بيروت ،مؤسسة الانتشار العربي ٢٠١٣.

١٦- رائد المالح ،تأملات في الخطاب الاسلامي المعاصر

١٧- عبد الاله بلقزيز ،الاسلام والسياسة :دور الحركات الاسلامية في صوغ المجال السياسي ، المغرب :المركز الثقافي العربي ،٢٠٠٨،

١٨- نفس المصدر ص١٦١ ،انظر كذلك :امل هندي الخزعلي ،الخطاب الاسلامي المعاصر :واقع التطرف ودعوات التجديد ،مجلة قضايا سياسية ،كلية العلوم السياسية جامعة النهرين ،العددان ٤٥-٤٦ ،١٩١٦

١٩- حسن الترابي ،تجديد الفكر الاسلامي ،المغرب :دار القرافي للنشر والتوزيع

٢٠- محسن عبد الحميد ،الفكر الاسلامي :تقويمه وتجديده، بغداد ،مكتبة الخلود ،١٩٨٧

٢١- سالم القمودي ،من اجل نظرية اسلامية معاصرة في الفكر والسياسة ،بيروت :دار الانتشار العربي ،٢٠٠٩

٢٢- صدر الدين القبنجي ،الاصالة والمعاصرة في نظرية اهل البيت ،مجلة الاجتهاد والتجديد للتقريب بين المذاهب ،٢٠٠٣

٢٣- داوود سلمان الشويلي ،التصحيح والتجديد في الفكر الشيعي الجعفري www.allaaiyed.com

٢٤-محمد حسين فضل الله ، تأملات في الخطاب الاسلامي المعاصر www.alhiwretoday.net

٢٥- مرتضى الشاذلي ،جدلية الخطاب الاسلامي الناعم مابعد داعش ،مجلة النور ،مايو ،٢٠١٨

٢٦- محمد حسن فضل الله ،احاديث في قضاية الاختلاف والوحدة ،د.م .دار التوحيد

٢٧- النهضة في الفكر الاسلامي الحديث والمعاصر ،حوار مع حيدر حب الله ،الحوار المتمدن،العدد ٣٩١٧ ،٢٠١٢

٢٨- عصام البشير ،سمات الخطاب الاسلامي المعاصر ،موقع فجر الحرية ،١٤ مايو ، ٢٠١١

٢٩- انظر عبد الحميد الانصاري ، معوقات تجديد الخطاب الديني ، مجلة الايام ، العدد ٩٩٨٨ ،اغسطس ٢٠١٦ ، وكذلك مرتضى الشاذلي مصدر سبق ذكره، وكذلك الخطاب الديني ومتطلبات الواقع العربي المعاصر ، جريدة الشرق الاوسط archive,aawsat.com،

٣/- عمر بن عبد الحميد البيانوني ، من فقه الاولويات ،https//said .net

الهوامش:

١-ديان مكدونيل ،مقدمة في نظريات الخطاب ، ترجمة دكتور عز الدين اسماعيل ،القاهرة ،المكتبة الاكاديمية ،٢٠٠١،نقلا عن :هبة عبد المعز احمد ،تحليل الخطاب، مركز النور،٢٠٠٩

٢-نقلا عن اسراء ربحي ،مفهوم الخطاب www.mawdoo3.com ،

٣-مريم العريني ،ماهو الخطاب ، www.mawdoo3.com

٤-هبة عبد المعز احمد ، مصدر سبق ذكره

٥-فاطمة روايدة ،الخطاب اصطلاحا ، www.mawdoo3.com

٦-عبد الرحيم الخلادي في الخطاب وتحليل الخطاب ،الحوار المتمدن ،٢٠١٠

٧-محمد الكناني ،الخطاب الاسلامي ومتطلبات المرحلة الراهنة ،مواد في مجلة الاحياء www.alahiai.com،

٨-محمد يونس،تجديد الخطاب الاسلامي ،القاهرة ،الدار العربية ،٢٠١١،ص٤٠

٩-د.خالد روشة ،الخطاب الاسلامي :مقاربة منهجية almslim.net

١٠-د.ماهر احمد السويس ،مفهوم الخطاب الديني وسماته ،محاضرة في قرية الفنون والحرية ،جمعية القدس للبحوث والدراسات الاسلامية ، ٢٠١٠

١١-عبد الملك منصور القصعبي ،خصائص الخطاب الاسلامي المعاصر ، www.raya.com

١٢-د.حسن حماد ،تأملات في كتاب المسلمون بين الخطاب الديني والخطاب الالهي ،صحيفة الديار ،يوليو ،٢٠١٣

١٣-شريف درويش اللبان ،الصحافة العربية وتجديد الخطاب الديني ، www.acreg.org

١٤-مفهوم الخطاب ، www.alsekeena.com

❖يخلط البعض بين الدين والتدين بينما ان لكل منهما اسسه ومقوماته ،فالدين ذو اصل واحد هو

الاصل الالهي اما التدين فهو نهج واسلوب بشري وهو ناتج للاجتهاد في الدين . للمزيد انظر ،عبد الاله بلقزيز ،الدين والتدين :مقاربة في الفروق www.alkhaleeg.ae

١٥-محمد مجتهد الشبستري ،نقد القراءة الرسمية للدين ، ترجمة احمد القبنجي ،بيروت ،مؤسسة الانتشار العربي ٢٠١٣

١٦-رائد المالح ،تأملات في الخطاب الاسلامي المعاصر

١٧-عبد الاله بلقزيز ،الاسلام والسياسة :دور الحركات الاسلامية في صوغ المجال السياسي ، المغرب :المركز الثقافي العربي ،٢٠٠٨،ط٢،ص١٩٩

١٨-نفس المصدر ص١٦١ ،انظر كذلك :امل هندي الخزعلي ،الخطاب الاسلامي المعاصر :واقع التطرف ودعوات التجديد ،مجلة قضايا سياسية ،كلية العلوم السياسية جامعة النهرين ،العددان ٤٥-٤٦ ،١٩١٦،ص٤٣

١٩-حسن الترابي ،تجديد الفكر الاسلامي ،المغرب :دار القرافي للنشر والتوزيع ،ص١٠٨

٢٠-محسن عبد الحميد ،الفكر الاسلامي :تقويمه وتجديده،بغداد ،مكتبة الخلود ،١٩٨٧،ص٥٧

٢١-سالم القمودي ،من اجل نظرية اسلامية معاصرة في الفكر والسياسة ،بيروت :دار الانتشار العربي ،٢٠٠٩،ص٧٠

٢٢-صدر الدين القبنجي ،الاصالة والمعاصرة في نظرية اهل البيت ،مجلة الاجتهاد والتجديد للتقريب بين المذاهب ،٢٠٠٣ ،ص٢٠٥

٢٣-داوود سلمان الشويلي ،التصحيح والتجديد في الفكر الشيعي الجعفري www.allaaiyed.com

٢٤-محمد حسين فضل الله ، تأملات في الخطاب الاسلامي المعاصر www.alhiwretoday.net

٢٥-حسن الترابي مصدر سبق ذكره ،ص٢٩

٢٦- مرتضى الشاذلي ،جدلية الخطاب الاسلامي الناعم مابعد داعش ،مجلة النور ،مايو ،٢٠١٨

٢٧-محمد يونس مصدر سبق ذكره

٢٨-محمد حسن فضل الله ،احاديث في قضاية الاختلاف والوحدة ،د.م .دار التوحيد ص٢٦٠

٢٩- النهضة في الفكر الاسلامي الحديث والمعاصر ،حوار مع حيدر حب الله ،الحوار المتمدن،العدد ٣٩١٧، ٢٠١٢

٣٠-عصام البشير ،سمات الخطاب الاسلامي المعاصر ،موقع فجر الحرية ،١٤ مايو ، ٢٠١١

٣١-انظر عبد الحميد الانصاري ، معوقات تجديد الخطاب الديني ، مجلة الايام ، العدد ٩٩٨٨ ،اغسطس ٢٠١٦ ، وكذلك مرتضى الشاذلي مصدر سبق ذكره، وكذلك الخطاب الديني ومتطلبات الواقع العربي المعاصر ، جريدة الشرق الاوسط archive,aawsat.com،

٣٢-عمر بن عبد الحميد البيانوني ، من فقه الاولويات ،https//said .net

٣٣-محمد الكناني مصدر سبقه ذكره